مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: 13، عدد خاص سبتمبر 2022
العنوان: أنشودة من جبالنا قراءة تاريخية تحليلية على ضوء وثائق أرشيفية جديدة
ص ص 432. 456

أنشودة من جبالنا قراءة تاريخية تحليلية على ضوء وثائق أرشيفية جديدة .

آمال علوان

قسم العلوم الإنسانية جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس

amelane@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 15/ 07/ 2020 ؛ تاريخ القبول: 23/ 04/ 2022

Title - **A patriotic hymn «Min djibalina »: an analytical historical reading with new archival documents.**

Abstract: The research paper aims to study a poem – Min Djibalina - a historical study that highlights its birth date, which many believe was organized during the Algerian revolution after the year 1954, because of the liberal texts it carries, especially the recurring part:

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ..... يُنَـــادِيـــنَا لِلْإِسْتِـقْـــلَالْ.

But this is a historical mistake. The poem was born in 1931 and gained its historical position after thirteen years through the important historical and national event, which is the Federal Scout Conference in which the best young people of the Algerian nation met with active national personalities and have a great thought and political influence on the Algerians, and at a critical time - World War II - and circumstances The difficult socio-economic suffered by the Algerians, amid these events, was the birth of the poem in July 1944 in Tlemcen.

This anthem greatly disturbed the French colonial authorities, who described them as provocative and recommended their security authorities to prevent their recurrence from people's ears, but the French authorities were unable to stop the spread and repeat it in the tongues of the Algerian people, especially its youth, because they were carrying a precious desire for them which is freedom and independence, this Desire, which embodied its first milestones on the night of the start in November 1954, by young men with limited abilities, but armed with the will and determination of one of two goals, either victory or martyrdom.

We will deal with the poem historically, drawing on the historical analytical method of analyzing the scientific references recorded in the French archive documents and some different sources and live testimonies.

Keywords : Min djibalina ; the French authorities; Mohamed Al-aïd Al Khalifa ; Federal Camp; Scouts

الملخص:

تهدف الورقة البحثية إلى دراسة قصيدة – من جبالنا – دراسة تاريخية تسلط الضوء على تاريخ ميلادها، الذي يعتقد الكثيرون أنه تم نظمها خلال الثورة الجزائرية بعد عام 1954، بسبب النصوص التحررية التي تحملها، وخاصة الجزء المتكرر:

من جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـــادِيـــنَا لِلْاِسْتِـــقـــلَالْ

لكن هذا خطأ تاريخي. فالقصيدة ولدت في عام 1931 واكتسبت موقعها التاريخي بعد ثلاثة عشر عامًا من خلال الحدث

التاريخي والوطني المهم الذي سنوضحه من خلال هذه الدراسة، وهو المؤتمر الكشفي الفيدرالي الذي اجتمع فيه أفضل شباب الأمة الجزائرية بقامات وطنية فاعلة، ولديهم فكر سياسي عظيم أثرعلى الجزائريين، وفي وقت حرج – الحرب العالمية الثانية– والظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي عانى منها الجزائريون، وسط هذه الأحداث، كانت ولادة القصيدة في جويلية 1944 بتلمسان.

أزعجت هذه الأنشودة بشدة السلطات الاستعمارية الفرنسية، التي وصفتها بأنها استفزازية، وأوصت سلطاتها الأمنية بمنع تكرارها على مسامع الناس، لكن السلطات الفرنسية وقفت عاجزة أمام انتشارها وترديدها على ألسنة الشعب الجزائري خاصة شبابه لأنها وبكل بساطة قد استقرت في أفئدتهم لما حملته من أمنية غالية على قلوبهم هي الحرية والاستقلال، هذه الأمنية التي تجسدت أول معالم طريقها ليلة الفاتح من نوفمبر 1954م على أيدي شباب محدود الإمكانات لكن مسلح بالإرادة والعزم على أحد الهدفين، إما النصر أو الاستشهاد فكانت الانطلاقة من جبال الجزائر الشامخة التي كانت معقل الثوار .

سنعالج الأنشودة من الناحية التاريخية معتمدين على المنهج التاريخي التحليلي لتحليل المادة العلمية المسجلة في الوثائق الأرشيفية الفرنسية وبعض المصادر المختلفة والشهادات الحية.

الكلمات المفتاحية: من جبالنا؛ السلطات الفرنسية؛ محمد العيد آل خليفة؛ المخيم الفيدرالي؛ الكشافة.

مقدمة:

أنشودة من جبالنا، تلك الأنشودة التي طالما رددناها في صغرنا داخل أقسامنا الابتدائية وأخذت حيزا من ذاكرتنا فأسلوب القصيدة سهل ممتنع لا يحتاج فهمها أن تكون متضلعا في اللغة العربية حتى تدرك معنى أبياتها الشعرية ولا حتى ملما بظروف نظمها ليصلك الإحساس بمعانيها، فلازالت كلماتها تردد على ألسنتنا، ولكن بوعي عميق لكل كلمة تحملها هذه الأنشودة .

بدأ فضولنا العلمي مع هذه الأنشودة حينما وقعت بين أيدينا وثائق أرشيفية- أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس (Aix-En-Provence) بفرنسا-صادرة عن مصالح الأمن الاستعمارية تحمل قلقا اتجاه أنشودة يرددها أفراد الكشافة الإسلامية الجزائرية وقد أكدت تلك التقارير على مختلف مصالح الأمن بمنع أفراد الكشافة ترديد الأنشودة على مسامع الجماهير وقد وصفتها بـــــــــــ« Hymne au pays» ٥ أو بوصف (CAOM .Boite : 9 H 40, N° 2298, 06/12/1944.) آخر في تقرير آخر هو: «Hymne à la patrie»: CAOM .Boite) 9H 40, N°117, Le 14 /05/1945.) وكلاهما يحملان دلالة واحدة باللغة العربية « نشيد الوطن»، تخوف السلطات الفرنسية من هذه

الأنشودة وعنوانها دفعنا للبحث وكان رأس الخيط الذي اتبعناه في بحثنا وهو ما ورد في التقرير نفسه: ﴿تلقوه في المخيم الفيدرالي بتلمسان﴾، لنبدأ رحلة البحث عن هذا المخيم في دور الأرشيف المحلية وتحديدا وهران وقد حالفنا الحظ إذ عثرنا على ملف صغير به مجموعة من التقارير الاستعمارية عن هذا المخيم الفيدرالي الكشفي (D.A.W.O, Boite 4063) ، لكن لا يأتي على ذكر كلمات الأنشودة ، وهنا اتجهنا إلى المقابلات الشخصية مع قدماء الكشافة الإسلامية الذين أكدوا لنا جميعا على اختلاف أفواجهم ومدنهم أن النشيد المقصود هو: ﴿ من جبالنا﴾ هذا النشيد الذي يظنه العامة دون الخاصة أنه نُظِم إبان الثورة التحريرية المباركة(ينظر التعليق رقم 1)، هذه المعطيات خلقت في نفسنا تساؤلات تاريخية–باعتبار أن التاريخ هو مجال اهتمامنا وتخصصنا- من نَظَم هذه القصيدة؟ ما هي ظروف كتابتها ؟ ما المكانة التاريخية التي خصت بها هذه الأنشودة الوطنية؟

1- أبيات الأنشودة :

قبل الإجابة على هذه الأسئلة والتفصيل فيها لزِم علينا إدراج القصيدة حتى نضع القارئ الكريم في السياق العام للموضوع.

القصيدة تقول :(الهادي درواز، بوزيان قويدر، 2005: 26 -27)

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـــادِيـــــنَا لِلْاِسْتِـــقـــْـلَالْ

يُنَـــادِيـــــنَا لِلْاِسْـتِـــقـــْـــلَالْ ..... لِاسْـتِـقْـــلاَلِ وَطْـنِـنِـــــَا

تَـــضْحِيَتُنَـــــــَا لِلْـوَطَـــنْ ..... خَـيْـرٌ مِـــنَ الْحَـيَـــــاةْ

أُضَـــحِّي بِـحَـيَـــاتِـــي ..... وَبِـمَـالِـــي عَـلَـيْـــكِ

يَـــا بِـــــلَادِي، يَـا بِـــلَادِي ..... أَنَـا لَا أَهْـــوَى سِـــــوَاكْ

قَـدْ سَـلَا الدُّنْـيَـا فُـــؤَادِي ..... وَتَـفَـانَـى فِـــي هَـــــوَاكْ

كُـــلُّ شَـــيْءٍ فِـيـكِ يَـنْـمُـو ..... حُـبُّـــهُ مِـثْـلَ النَّـبَـــاتْ

يَـــا تُـــرَى يَـأْتِـيكِ يَـوْمٌ ..... تَـــزْدَهِـي فِـيـهِ الْحَـيَـــاةْ

أمال علوان
amelane@hotmail.fr

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـــادِيـــنَا لِلْاِسْتِـــقـــْلَالْ

يُنَـــادِيـــنَا لِلْاِسْـتِـــقـــْلَالْ ..... لِاسْـتِـقـــْلَالِ وَطْـنِـنـــَـــا

نَحْـنُ بِـالْأَنْـفُـسِ نَـفـــْـدِي ..... كـــُـــلّ جـــُـزْءٍ مِـــنْ ثـــَرَاكْ

إِنّـنَـا أَشْـبَـالُ أُســـْـــدٍ .... فَـاصْـرِفِـيـنَـا لِعـــِـــــدَاكْ

لَكِ فِـــي التـّــارِيـــخِ رُكْـنٌ ..... مُشْـــرِقٌ فـــَوْقَ السّـِمـــَـــاكْ

لَكِ فِـــي الْمَـنْـظـــَـرِ حُسْنٌ ..... ظَـلّ يُـغـْـرِي بِـبـَـهـــَـــاكْ

٥

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـــادِيـــنَا لِلْاِسْتِـــقـــْلَالْ

يُنَـــادِيـــنَا لِلْاِسْـتِـــقـــْلَالْ ..... لِاسْـتِـقـــْلَالِ وَطْـنِـنـــَـــا

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: 13، عدد خاص سبتمبر 2022
العنوان: أنشودة من جبالنا قراءة تاريخية تحليلية على ضوء وثائق أرشيفية جديدة
ص ص 432. 456

أَيُّـهَـا الشُّـبَّـانُ قُـومُـوا ..... بِـأَعْـمَـالٍ صَالِـحَاتْ
وَابْـذُلُـوا النَّـفْـسَ النَّـفِـيسَ ..... لِـمُـعْـجِـزَةِ الْحَيَاةْ

نَحْنُ سُـورٌ بِـكِ دَائِـرْ ..... وَجِـبَـالٌ رَاسِـيَـاتْ
نَحْنُ أَبْـنَـاءُ الْجَـزَائِـرْ ..... أَهْـلُ عَـزْمٍ وَثَـبَـاتْ

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـادِيـنَا لِلْاِسْتِـقْـلَالْ
يُنَـادِيـنَا لِلْاِسْـتِـقْـلَالْ ..... لِاسْـتِـقْـلَالِ وَطَـنِـنَـا

تَـضْحِـيَـتُـنَـا لِلْـوَطَـنْ ..... خَـيْـرٌ مِـنَ الْحَـيَـاةْ

أُضَـحِّـي بِـحَـيَـاتِـي ..... وَبِـمَـالِـي عَـلَـيْـكِ

أمال علوان
amelane@hotmail.fr

استنادا على المقابلات الشخصية التي أجريناها فأنشودة ﴿من جبالنا﴾ تكون من نظم الشاعر الجزائري الكبير: ﴿ محمد العيد آل خليفة﴾ بحثنا عن القصيدة في المصادر والمراجع المختصة بالشاعر وشعره، وكان أول ما بدأنا به ديوان ﴿محمد العيد﴾ الذي قام الدكتور: ﴿طالب الإبراهيمي﴾ بجمعة ونشره في حياة صاحبه وتحديدا سنة 1967م فلم نجد لها أثرا بالديوان، ثم بحثنا في كتاب محمد بن سمينة :﴿محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ﴾ طبعة 1992، ولم نجدها وهو ما زاد من حيرتنا، ولكننا وجدناها مصنفة في كتاب الأناشيد الوطنية المنجز من قبل المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954ومنسوبة لشاعرنا ﴿محمد العيد﴾، هذا الشك قطع عندنا باليقين لما حصلنا على كتاب الدكتور﴿ بن سمينة الذي استدرك فيه أعمال ﴿محمد العيد ﴾ المجهولة في كتاب أسماه: ﴿العيديات المجهولة تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة﴾ ، طبعة2003، وصنف الأنشودة مع الأناشيد لكن لم يمنحها عنوان من جبالنا (محمد بن سمينة،2003 :131) بل عنوان :﴿ بلادي﴾ وقد جاء في قول الدكتور بن سمينة مايلي: ﴿جاء في الشهاب الجزء الثامن عدد ذي القعدة 1349هـ/ مارس 1931م ص: 193" أنّ تلامذة مدرسة الشبيبة الإسلامية قد أنشدوا في الحفلة الشتوية للمدرسة :

يا بلادي يا بلادي ***** أنا لا أهوى سواك

قد سلى الدنيا فؤادي ****وتفانى في هواك

- وهو من نظم الشاعر" محمد العيد﴾ إلا البيتان الأول والثاني وجاء في المرصاد ع1:1-17 ديسمبر 1931 "أن تلامذة مدرسة الشبيبة قد أنشدوا النشيد نفسه بحضور الشاعر في حفلة افتتاح جمعية الإصلاح بمدينة "دلس ".
- وأما الأبيات " 3-4-5--6-7-8-9-10 " فقد أثبتها الشيخ محمد الصالح رمضان إلى جانب البيتين 1-2 وأكد أنهما من نشيد مدرسي معروف للشاعر محمد العيد آل خليفة، وكان السيد حسن بلكبرد رئيس الكشافة الإسلامية بمدينة سطيف قد أخذ هذا النشيد ونظم له هذا المطلع(ينظر التعليق رقم 2):
- مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـــادِيـــــنَا لِلْاِسْتِـــقـــْـلَالْ
- يُنَـــادِيـــــنَا لِلْاِسْـتِـــقـــْـلَالْ ..... لِاسْـتِـقـــْـلاَلِ وَطْـنِـنـــَـــا

ثم صار النشيد كله ينسب إلى محمد العيد (محمد بن سمينة، 2003:131). وبذلك يكون الشاعر الجزائري ﴿محمد العيد آل خليفة﴾ هو من نظم القصيدة سنة 1931، والسيد حسن بلكبرد رئيس الكشافة الإسلامية بمدينة سطيف قد نظم له مطلعها.

2- تعريف الشاعر:

الشاعر ﴿محمد العيد آل خليفة﴾ من مواليد أوت 1904 بمدينة عين البيضاء بأم البواقي وسط عائلة دينية محافظة متصوفة تنحدر أصلا من بلدة ﴿كوينين﴾ من ولاية واد سوف، تلقى تعليمه الأول على يد الشيخين محمد الكامل ﴿ابن عزوز ﴾و ﴿أحمد بن ناجي﴾ انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة ليكمل بها حفظ القرآن الكريم ويجلس في دروس الشيخ ﴿علي بن إبراهيم العقبي﴾ إلى سنة 1921م، و﴿الجندي أحمد بن المكي﴾ وغيرهم من العلماء الكبار ورغبة في طلب العلم رحل إلى تونس حيث انتسب لجامع الزيتونة وبعد سنتين توقف عن الدراسة بتونس لأسباب صحية ليعود إلى بسكرة ويكمل مشواره العلمي على يد علمائها.

توجه سنة 1927إلى العاصمة حيث عمل بمدرسة الشبيبة الإسلامية وأدار إدارتها وعند تأسيس جمعية العلماء كان عضوا بارزا فيها ونشر العديد من إنتاجه الشعري في جرائدها السنة،الشريعة ،الصراط ،المرصاد والبصائر. وأثناء الحرب العالمية الثانية عاد إلى مدينة بسكرة اشتغل بالتعليم ثم منها إلى باتنة وعين مليلة .....، بعد قيام الثورة التحريرية ألقي عليه القبض من طرف الاستعمار الفرنسي الذي أغلق المدرسة التي كان يزاول بها تدريسه وقد عذب ونكل به ليفرج عنه فيما بعد ويوضع تحت الإقامة الجبرية بسكرة حتى استرجاع السيادة الوطنية:(الهادي درواز، بوزيان قويدر، 2005: 131)بعد الاستقلال لازم الاعتكاف ببيته متعبدا ذاكرا زاهدا في الدنيا قليل المشاركة في

النشاطات العامة والخاصة، فكان يقضي نصف السنة ببسكرة ونصفها الآخر بباتنة حتى توفي بمستشفى مدينتها يوم الأربعاء 07 رمضان1399 هـ الموافق لـ 31 جويلية1979 م،ونقل جثمانه إلى بسكرة حيث دفن بمقبرة (العزيلات) بعد يومين من وفاته.

2- ظروف كتابة الأنشودة:

يصف الكثيرون الأنشودة بأنها أشهر النصوص الثورية التي خلدت ثورة التحرير الجزائرية، وهم يعتقدون أنها كتبت أثناء ثورة التحرير الوطني وهو ما قرأته في عديد المواقع على شبكة الإنترنيت، وهذا خطأ تاريخي ولعل اعتقادهم هذا عائد إلى البيت المكرر في الأنشودة:

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـــادِيـــنَا لِلْاِسْتِـــقـــْـلَالْ .

الصواب أنّ القصيدة نضمها الشاعر سنة 1931 م وحسب رأينا الخاص وإن كان الاستدمار الفرنسي وسياسته التسلطية التي أرهقت البلاد والعباد لتكون سببا كافيا في نضمها، غير أننا وبالتعمق في كلماتها ودعوتها الصريحة إلى الاستقلال -في وقت كممت سلطات الأمن الاستعمارية كل الأفواه وأطبقت الأنفاس- نرجح أن يكون السبب المباشر لنضمها هو احتفالات الفرنسيين الصاخبة والجارحة بمناسبة العيد المئوي لاحتلال الجزائر سنة 1930م والتي استمرت حوالي ستة أشهر إذ انطلقت في شهر يناير من نفس السنة وانتهت في الخامس من شهر جويلية، وهو التاريخ الذي دخلت فيه جيوش الاحتلال مدينة الجزائر

سنة 1830م، مع ما صاحبها من رغبة في إذلال الجزائريين وإشعارهم أنهم لم يعد لهم أمر في وطنهم الذي أصبح في نظر المستذمر جزءً من فرنسا، ﴿ورفع غلاتهم شعارات معادية للعرب والإسلام، معلنين أنهم قد افتتحوا الجزائر عنوة، وأنهم افتكوها من الحضارة الإسلامية وأعادوها إلى الحضارة الرومانية التي ينتسبون إليها(أبو القاسم سعد الله،1992، ج3 :16)، كما عمدت فرنسا أثناء الاحتفالات إلى استعراض فرق جيشها الذي شابه جيشها الذي احتل الجزائر عام 1830م، وذلك من حيث الملابس، الأسلحة، التنظيم، الأناشيد ووسائل النقل إلى غير ذلك.

للمناسبة نفسها نظم رواد فرنسا ﴿جمبوري﴾(ينظر التعليق رقم 3) في أفريل 1930 م بالعاصمة ضم ثلاثة آلاف كشاف، ألفين منهم جاءوا من 47 عمالة فرنسية، المغرب، تونس، ..... ومن دول أوروبية كبريطانيا، بلجيكا، سويسرا... والألف المتبقية يمثلون كشافة فرنسا بالجزائر، فكان جمبوري ﴿أورو-إفريقي ﴾.

كانت تلك الاحتفالات وما رافقها من تجريح تنبيها قويا للشعب الجزائري الذي دخل مرحلة جديدة من المواجهة السياسية مع الاستذمار، ففي رأي أحمد توفيق المدني: ﴿احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر قد قدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل﴾ (رابح تركي، 1975: 66) .

أيقظت الدعاية الفرنسية الجارحة للجزائريين، كافة التشكيلات السياسية، فكانت دافع لتشكيل التنظيمات المختلفة كالجمعيات الثقافية، الأحزاب السياسية والصحف الجزائرية الوطنية، ومن ذلك أنها عجلت بظهور «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» في الخامس من ماي 1931م (أبو القاسم سعد الله،1992، ج2 :307) التي رفعت شعار: «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا». و قد دعت صحافتها – عشية هذه الاحتفالات– «نخبة الأمة» إلى اليقظة وإنقاذ بني جلدتهم، «الذي تسير بقصته الحزينة الركبان في كل مكان»واستنفرتهم إلى أن يظهروا للعالم أنهم قادرون على تكوين كتلة من الوطنيين للدفاع عن وجود الأمة الجزائرية، نفس الصحافة أطلقت على احتفالات سنة 1930م اسم «مهازل» وردّدت العبارة القائلة أن الفرنسيين» لن يحتفلوا بثاني عيدهم» (أبو القاسم سعد الله،1992، ج2 :307) .

في هذا الجو المشحون لا نستغرب أن تجود قريحة شاعرنا بقصيدة « يا بلادي يا بلادي» سنة 1931م وقد حملت أصدق التعابير عن حب الوطن والارتباط به وأمل الشاعر في تغير الأحوال إلى الأفضل ولما كان يقين الشاعر أن واقع الحال لن يتغير بالتمني فقد أدرج في قصيدته بيتا شعريا ثوريا وهو :

نَحْـنُ بِـالْأَنْـفُـسِ نَـفْـــدِي ..... كُـــــلّ جُـــزْءٍ مِـــنْ ثَـــرَاكْ

إِنّـنَـا أَشْـبَـالُ أُســـــْـــدٍ .... فَـاصْـرِفِـيـنَـا لِعـــــِـــــدَاكْ

هذه الأنشودة لاقت قبولا عند كل من سمعها وترددت على ألسنة الصغاروالكبار، فكان من معجبيها رئيس الكشافة الإسلامية الجزائرية بمدينة سطيف السيد:﴿حسن بلكيرد﴾ الذي أخذ النشيد ودعمه بأبيات شعرية ذات عبارات صريحة ومنطوقة لا تتحمل التأويل في أماني الجزائريين بالاستقلال الذي لن يكون إلا بالثورة فنظم لها هذا المطلع:

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَـــادِيـــــنَا لِلْاِسْتِـــقـــْـلَالْ

يُنَـــادِيـــــنَا لِلْاِسْـتِـــقـــْـلَالْ ..... لِاسْـتِـقـْـلَالِ وَطْـنِـنـــَـــا

3- المكانة التاريخية التي حضيت بها :

إن الأنشودة التي نُضِمت سنة 1931 اكتسبت مكانتها التاريخية بعد ثلاثة عشر سنة من خلال الحدث التاريخي والوطني الهام الذي جمع خيرة شباب الأمة الجزائرية بقامات وطنية فاعلة وذات تأثير كبير فكريا وسياسيا على الجزائريين، وفي وقت حرج لأنّ كلمة حرب- العالمية الثانية- لوحدها كفيلة أن تعبر عن صعوبة الظرف الاجتماعي والاقتصادي الذي عانى منه الجزائريين، في خضم هذه الأحداث كان

أمال علوان
amelane@hotmail.fr

الميلاد العلني للقصيدة في شهر جويلية 1944 بتلمسان بعد أن كان محمد الهادي شريف المدعو جنادي قد لحنها في مارس 1942م، فلماذا نعتبر سنة 1944م تاريخ ميلاد القصيدة الرسمي؟ وما هي حيثيات هذا الحدث التاريخي؟

3-1 المخيم الفيدرالي ما بين 23 و 30 جويلية 1944 م:

انعقد هذا المخيم الكشفي الأول من نوعه على المستوى الوطني، بمكان يسمى ﴿الحجل الصغير﴾ ﴿petit perdreaux﴾ وسط غابة من الصنوبر على هضبة ﴿ لالة ستي﴾، تبعد عن تلمسان بحوالي 6 كلم (Baghli Abdelouahab, 2000 :91) ، لم يكن إختيار تلمسان صدفة بل مرده بالدرجة الأولى للنشاط الكثيف الذي تميزت به الحركة الكشفية الإسلامية بالغرب الجزائري بشكل عام ونشاط فوج ﴿ المنصورة ﴾بشكل خاص ومميز .

يصف أحد تقارير مركز الإعلام والدراسات الفرنسي المخيم وصفا دقيقا نورد منه مايلي: ﴿القادة المشاركون تتجاوز أعمارهم 19 سنة، حالتهم الجسمية سليمة وملابسهم جد مرتبة، المصالح الداخلية للمخيم تخضع لمقاييس النظافة وتمتاز بالانضباط والتنسيق، برنامج المخيم كثيف، يرتكز خاصة على الأعمال التطبيقية بالنسبة للكشافة، أما التلاميذ فتلقى عليهم 3 محاضرات توجيهية يومية من إعداد المحافظ العام أو المحافظ الجهوي، هذه المحاضرات تلقى باللغة الفرنسية.﴾ (D.A.W.O, Boite

4063, N°300, le29/07/1944. لا تكمن أهمية هذا المخيم الفيدرالي في البرنامج التعليمي فقط، وإنما تكمن في المشاركة الواسعة لكافة قادة الأفواج الكشفية الجزائرية بما فيهم «الرواد المسلمين الجزائريين» والحضور القوي لأبرز قادة الحركة الوطنية، إضافة إلى مشاركة الكشافة الفرنسية وممثلي الحكومة الفرنسية العامة، فكان حضورهم على النحو التالي:

3-1-1 الشخصيات الكشفية:

بلغ مجموع القادة المشاركين في هذا المخيم والذين كانت أعمارهم تتجاوز سن 19 عاما، حوالي 450 كشاف منهم 180 كشاف يمثلون عمالة قسنطينة، 160 كشاف يمثلون عمالة الجزائر، و80 كشاف يمثلون عمالة وهران، إضافة إلى حضور عدد من أعضاء المجلس الإداري للكشافة الاسلامية نذكر منهم: (D.A.W.O, Boite 4063, N°300, le29/07/1944.)

- التيجيني الطاهر: المحافظ المحلي لمدينة سكيكدة.
- فارس محمد: مساعد المحافظ المحلي لمدينة تيزي وزو.
- عمر لاغا و محفوظ قداش: لمدينة الجزائر.
- محمود بوزوزو: تيزي وزو
- شريف غوثي: المحافظ المحلي لمدينة تلمسان.

3-1-2 **الشخصيات الفرنسية:** (D.A.W.O, Boite 4063,N° 455, le 02/081944)

إنّ القائمين على التجمع عمدوا إلى تكتيك يقوم على عدم إثارة الخصم المتمثل في الإدارة الاستعمارية والكشافة الفرنسية بمختلف فروعها فوجهت الدعوات إلى كل من:

- السيد: كابيتان:﴿capitant﴾ وزير﴿التربية الوطنية والشباب﴾، الذي وصل إلى تلمسان يوم30 جويلية (L'Echo d'Oran , 1944.)
- السيد: كاتلان ﴿catelin﴾ المحافظ العام للكشافة الفرنسية.
- السيد: باردو ﴿Bardou﴾ ممثل الشباب الكشفي الفرنسي.

إلى جانب حضور كل من حاكم مقاطعة وهران وحاكم تلمسان (L'Echo d'Oran , 1944.)

3-1-3 الشخصيات الوطنية:

شكل هذا التجمع التاريخي الكبير فرصة لأطراف التحالف الوطني (فرحات عباس، الشيخ البشير الإبراهيمي، مصالي الحاج) حتى يتصلوا بهذه الشريحة الشبانية الهامة قصد استقطابها وتدعيم توجهاتها الوطنية.

على هذا الأساس انتقل ﴿فرحات عباس﴾ إلى مدينة تلمسان واتصل ﴿بالشيخ البشير الإبراهيمي﴾ اللذان زارا سويا المخيم الكشفي، وقد كان متفائلا وهو يرى شبابا مفعما بالنشاط والحيوية من أجل الجزائر، هذا ما دفعه إلى إلقاء خطاب شجع فيه العناصر الكشفية، مركزا على أنها هي آمال الجزائر الجديدة،وعليها أن تعمل بعناد وإصرار لتحقيق مطالب الجزائريين(Baghli Abdelouahab, 2000 :41) ، هذا مقتطف منه :﴿...اجتهدوا في المدارس، تعلموا المهن اليدوية ثم تعلموا مبادئ

الكشافة عن صدق لأن ذلك سيفيدكم يوما في خدمة البلاد، كونوا فخورين بشخصيتكم الجزائرية، امشوا أمام العدو ورؤوسكم مرفوعة... (Baghli Abdelouahab, 2000 :41)﴾

كما كان حضور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قويا في هذا المخيم من خلال حضور ﴿ الشيخ البشير الإبراهيمي﴾ لتفقد سير تحضيرات استقبال المشاركين، ومساعدته الفعالة رفقة ﴿ عبد الرحمن قورصو﴾ في توفير الخيّم (D.A.W.O, Boite 4063, ,N° N° 455, le 02 Août 1944.) هذه الزيارة لم تنقطع بانطلاق أشغال المخيم، فأحد تقارير الشرطة يكشف تمضية البشير الإبراهيمي ليوم كامل بين الأوساط الكشفية، ولاشك أنه قد استغل الفرصة لإرشادهم وتوجيههم . (D.A.W.O, Boite 4063, N°300, le29/07/1944.)

أما حزب الشعب الجزائري المحظور فكان قائده ﴿ مصالي الحاج﴾ تحت الإقامة الجبرية بـ﴿ قصر الشلالة﴾ (Mohamed Drouiche, 1985 :108)، غير أنه لم يفوت الفرصة وبعث ببرقية تهنئة إلى الكشافة الإسلامية (Baghli Abdelouahab, 2000 :96) هذا وقد سجل الحزب حضوره من خلال مشاركة العديد من أعضاءه الشباب في هذا المخيم، علما أن تلمسان هي مكان مولد مصالي، وأن عددا كبيرا من قادة الكشافة كانوا أعضاءً بحزب الشعب الجزائري.

كان أبرز حدث شد انتباه الإدارة الاستعمارية هو خروج الكشافة يوم الجمعة في زيارة للمدينة وسط استعراض رائع، حيث ساروا في أفواج حسب العمالات، جابوا شوارع المدينة ﴿مرددين الأناشيد الوطنية (L'Echo d'Oran , 1944)أمام تصفيق وتشجيع الجماهير المتحمسة. (D.A.W.O, Boite4063,N°300, le29/07/1944)

وصفت جريدة صدى وهران:﴿L'Echo D'Oran﴾ الصادرة يوم 31 جويلية 1944 م، استعراض الكشافة هذا بقولها :﴿الجيش الجزائري ولد وعلى رأسه المارشال بوزوزو (ينظر التعليق رقم04) أما في مساء يوم الجمعة فقد أحيوا احتفالا بالملعب البلدي قدموا خلاله العديد من العروض المسرحية ذات الطابع الاجتماعي والوطني مثل:

﴿صحوة الضمير﴾، ﴿حب العمل﴾، كما أنشدوا العديد من الأناشيد الوطنية كان أبرزها قصيدة:﴿ من جبالنا﴾ وبذلك تكون القصيدة رددت على أسماع شريحة هامة من مواطني تلمسان الحاضرين بالملعب البلدي ناهيك عن أولئك القادة الكشفيين الذين سيرجعون إلى أفواجهم ويلقنوها للكشافة الصغار.

4- موقف السلطات الأمنية الفرنسية من الأنشودة:

لرصد موقف هذه الأخيرة اخترنا من بين ما حصلنا عليه من التقارير، تقريرين اثنين وترجع أهميتهما حسب تقديرنا إلى تاريخ تحريرهما فالأول كان بتاريخ السادس من ديسمبر 1944 (CAOM .Boite : 9 H 40,Préf de Constantine, C.I.E, N° 2298, Le 06 Déc 1944) .

بمعنى قبل أحداث ماي 1945 الدامية، التقرير عن فوج «سيدي عيش» بتيزي وزو، ما يثير الانتباه هو احتوائه على عدة صفحات فيها: ترجمة لأبيات القصيدة باللغة الفرنسية للدلالة على خطورتها، كما أشار التقرير إلى الأناشيد العربية التي ترددها الأفواج الكشفية بمنطقة القبائل واصفا إياها بالتحريضية، ومما جاء فيه نذكر: «...ومن قادته «ينات مصطفى»، «بنية»، «عينوش» وأخرون ..... قد برهنوا منذ زمن على مشاعرهم الوطنية، ففوج «سيدي عيش» يرددون كثيرا في احتفالياتهم «قسم الوطن Hymne au pays» الذين تلقوه في المخيم الفيدرالي بتلمسان، ..... هذه الأنشودة أوتي بها من طرف قائد الفوج السيد : «سعد الدين» من مخيم تلمسان، وقد رددوها كثيرا في احتفالهم الكشفي الذي جرى يوم 11 نوفمبر1944، هذا النشيد أصبح يردده سكان منطقة القبائل، وبذلك لا يخفون شعورهم الوطني، فعبارات النشيد لا تحمل أي ولاء لفرنسا أو ذكر لها، لذلك راسلنا قادة فوج «سيدي عيش» بعدم إنشاد هذا النشيد أو أي أناشيد عربية على مسامع الجمهور تحمل عداءً لفرنسا. » . (CAOM .Boite : 9 H 40, 40,Préf) de Constantine, C.I.E, N° 2298, Le 06 Déc 1944

أما التقرير الثاني فهو قرار بتاريخ 10 ماي 1945 لتوقيف الفوج بالرغم من أنّ مقر كشافة «سيدي عيش» لم يحتوي على مناشير حزبية، بيد أنّ إدارة الاحتلال رأت أنّ شباب كشافته وقادته يحملون أفكارا خطيرة(CAOM .Boite : 9H 40, N°117, Le 14 /05/1945)

وبذلك كانت الفرصة سانحة لمعاقبة الفوج بتعطيله لعدم التزامه بأوامر السلطة الاستعمارية وبما كان يثيره من قلق لدى مصالحها .

خاتمة: يمكن أن نستنتج من بحثنا عدة حقائق تاريخية أبرزها:

1- أنشودة من جبالنا لم تنظم خلال حرب التحرير المباركة وإنما قبلها بـــ 23 سنة وتحديدا سنة 1931م.

2- انتشرت كالنار في الهشيم عقب المخيم الفيدرالي الكشفي الأول في جويلية 1944م بتلمسان .

3- أزعجت هاته الأنشودة سلطات الإستدمار الفرنسي كثيرا ووصفتها بالتحريضية وأوصت مصالحها الأمنية بمنع ترديدها على مسامع الناس في التجمعات الكشفية والشوارع التي يجبونها أو داخل مقراتهم عبر كامل التراب الوطني.

5-وقفت السلطات الفرنسية عاجزة أمام انتشارها وترديدها المتكرر على ألسنة الشعب الجزائري خاصة شبابه لأنها وبكل بساطة قد استقرت في أفئدتهم لما حملته من أمنية غالية على قلوبهم هي الحرية والاستقلال.

6- تجسدت كلمات الأنشودة ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 م على أيدي شباب محدود الإمكانات لكن مسلح بالإرادة والعزم على أحد الهدفين لا ثالث لهما إما النصر أو الاستشهاد فكانت الانطلاقة من جبال الجزائر الشامخة التي كانت معقلا للثوار .

التعليقات :

1- عديد المواقع الإلكترونية في تعريفها لهذه الأنشودة تذكر أنها نظمت خلال الثورة التحريرية الجزائرية أي مابين 1954-1962 م، وهذا غير صحيح.

2- حسن بلكيرد : بالرغم من أن لهذه الشخصية بصمة كبيرة في المجال الثقافي والفني لمدينة سطيف غير أننا لم نصادف في بحثنا ما يوفي الرجل حقه من التعريف باستثناء بعض التقرير الأرشيفية التي تشير إلى اسمه أو شريط وثائقي لمحطة تلفزيونية وطنية (حسن بلكيرد مؤسس الكشافة الإسلامية: من إعداد قناة :وطنية تيفي Watania TV في الأصل خمس حلقات لكن الموجودة على الشبكة العنكبوتية ثلاثة فقط لا تتجاوز مدة الحلقة ثمان دقائق ، أطلع عليه بتاريخ : 02 جوان 2020.) فمن هو حسن بلكيرد ؟

حسن بلكيرد من مواليد 22 نوفمبر 1905 بمدينة قسنطينة سليل أسرة مثقفة فوالده ﴿ يوسف﴾ كان قاضيا، أخذ تعليمه الأول بمسقط رأسه قسنطينة قبل أن يرسله أبوه إلى الزيتونة ومنها إلى القاهرة حيث إلتحق بمعهد التمثيل...بعد عودته إلى أرض الوطن – التي لم تثبت لدينا بسنة محددة- استقر بمدينة سطيف، أسس بها سنة 1933 الجمعية الموسيقية ﴿ السعادة﴾، بعدها أنشأ أول مكتبة لبيع الكتب والقصص والمجلات سنة1936 م وأسماها: ﴿ مكتبة الشرق العربي﴾، ليؤسس أول فوج للكشافة الإسلامية الجزائرية بمدينة سطيف سنة 1936 وأسماه فوج ﴿ الحياة﴾ 1936حصل على الإعتماد الرسمي في 08/ 06/ 1938 م، يعتبر حسن بلكيرد أول من أدخل المسرح لمدينة سطيف ألف عديد المسرحيات ومثلها من خلال تجمعات الفوج الكشفي، مسرحياته كانت مباشرة تخاطب العقول وتحارب الطغيان الاستعماري من جهة ومن جهة أخرى تعالج الآفات الاجتماعية المنتشرة في المجتمع آنذاك (شريط وثائقي)، كما نظم عديد الأناشيد ولحنها كان أبرزها نشيد ﴿ نحن كشافة الحياة﴾، نشاطه الدائم وتأليفاته المختلفة التي حمّلها عداء فرنسا وحب الوطن

جلبت عليه سخط الإدارة الاستعمارية التي اعتقلته مرات كثيرة، سقط شهيدا سنة 1957 .

3-جمبوري: مصطلح هندي معناه اجتماع لجميع القبائل، وهي تسمية تطلق على التجمع الكشفي العالمي.

4- محمود بوزوزو:(22 فيفري1918-27 سبتمبر 2007)، بن قاضي منطقة القصر بمدينة بجاية، تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، مدير مجلة المنار التابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، أسس عدة مدارس في منطقة بجاية و البليدة، أين كان يمارس التدريس، عضوا فعالا بالحركة الكشفية الإسلامية خلال فترة الاحتلال إلى جانب «عمر لاغا» و«محفوظ قداش» وله العديد من المقالات بالمجلة الكشفية «صوت الشباب»...، اعتقل غداة اندلاع الثورة التحريرية1954،...اشتهر بالإمام المنظر والعالم اللغوي والإسلامي والصحافي.

قائمة المصادر و المراجع :

تركي رابح(1975): **«التعليم القومي و الشخصية الجزائرية (1931-1956م).**»، ط1، الجزائر ، الشركة الوطنية للكتاب.

درواز الهادي ، بوزيان قويدر(2005) :**«كتاب الأناشيد الوطنية»**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، مطبعه هومه.

سعد الله أبو القاسم (1992): **«الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930»**، ج2، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

سعد الله أبو القاسم (1992): **«الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945»**، ج3، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

طالب الإبراهيمي (1967): **ديوان «محمد العيد آل خليفة »** ، 1967 .

محمد بن سمينة (1992) :**﴿محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ﴾**، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجزائرية .

محمد بن سمينة (2003) : **﴿العيديات المجهولة تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة﴾**، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجزائرية .

وطنية تيفيWatania TV: شريط وثائقي بعنوان :**حسن بلكيرد مؤسس الكشافة الإسلامية**، أطلع عليه بتاريخ : 02 جوان 2020.

Baghli Abdelouahab,(2000)"l'itinéraire d'un chef meute Khaled Marzouk Scouts Musulmans Algériens groupe El Mansourah de Tlemcen 1936-1962", Tlemcen ,Imp: Daoud Brikci .

CAOM .Boite : 9 H 40, Département de Constantine, Arrondissement de Bougie, Sidi-Aich, N°117, Le 14 Mai 1945.

CAOM .Boite : 9 H 40, Département de Constantine, C.I.E, N° 2298, Le 06 Déc 1944.

CAOM .Boite : 9 H 40,Préf de Constantine, C.I.E, N° 2298, Le 06 Déc 1944.

CAOM .Boite : 9 H 40,Département de Constantine, Arrondissement de Bougie, Commune Mixte de la Soummam, N° 117/G, Sidi Aich, Le 14 Mai 1945.

D.A.W.O, Boite 4063, Perf d'Oran C.I.E, N°300, le29Juillet 1944.

D.A.W.O, Boite 4063, P.R.G, N° 455, le 02 Août 1944 .

D.A.W.O, Boite 4063, P.R.G, N° 455, le 02 Août 19440

L'Echo D'Oran "31/07/1944.

L'Echo d'Oran : **Sous le signe de la renaissance**, le 28 juillet 1944.

Mohamed Drouiche (1985): **« le Scoutisme Ecole du patriotisme »** Alger : E.N.A.L, O.P.U.